

نقيًا كأنه روح

مهدي الموسوي



تمت رقمنة هذا الكتاب ضمن برنامج النشر الرقمي

Digital
Publishing
Program
برنامج
النشر
الرقمي



هيئة الأدب والنشر والترجمة
Literature, Publishing & Translation Commission

نقيا كانه روح

الإهداء...

إلى الناس الطيبين ذوي الأرواح الشفافة والمشاعر الرقيقة،

ممن يبصرون أوجاع الناس بإحساس

ويصنعون سعادتهم من داخل ذواتهم بأدوات بسيطة

وقد عاهدوا الله أن يكونوا رحمة للبشر وفي خدمتهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً

أولئك هم ملح الأرض وأجمل ما في الكون

وأعمدة الله الممتدة من السماء لتسكين روع الناس وتثبيت قلوبهم وجعل الأرض قابلةً للحياة!...

إليهم جميعاً... أهدي هذا الكتاب

اقرأوا لي..

ما دُمت أشعر بآلامكم

وأتحسس جراح قلوبكم

وما دامت كلماتي

تجلب الدفء لأرواحكم

وتُظهرُ أجمل ما لديكم

وتلامس الإنسان الكامن فيكم...

مدخل

ليت القارئ، وبينما يقرأ الكتاب

أن يتفهم رموزه ويلمح ما خفي بين سطوره

ويلتفت إلى باطن معانيه لا إلى ظاهر ألفاظه

وليت القارئ يتوقف بين الصفحات...

لتأمل الأفكار واللمحات،

فالكتاب لا يُقرأ على عجل

بل يُرشف على مهل!...

كخمرة للروح... أو كدواء للجروح!...

وأقول كما قال الشاعر جلال الدين الرومي :

أنا لم آت لأعطيك شيئاً جديداً، لقد أتيت لأخرج جمالاً لم تكن تعرف أنه موجود فيك!...

إشراقة (1)

وعندما استناز...

أصبح يعمل مثل الأقماز

يعكس نور الشمس

لينير دروب التائمين في القفاز!...

إشراقة (2)

في وقت الأزمات وبينما يهرب الجمع الغفير!

يحضر المستنير...

ثم يغادر المكان خلصةً...

عندما يبدأ الناس بالتصفيق والتصوير!

السّر في المسير

قال لي معلمي:

سِرْ في رحلة إلى داخل نفسك للبحث عن كنوزها

وتأمل في عوالمها الخفية

وإن تنعمت بلحظات من البهجة الروحية،

فإياك أن تستحوذ عليها لنفسك،

بل شارك بها الآخرين!...

ثم سِرْ في رحلة حجّ إلى أقاصي التاريخ،

وابحث عن سُلَاقَة روح العالم من كنوز الحكم

وإن عثرت على إحداها،

فأمسكها بمحبّة فائقة

مثلما تمسك جوهرة نادرة،

وقم بإزالة الغبار عنها بقطعة معطرة من الحرير

وامنحها للناس علّها تهدئ روعهم من الاضطراب،

وتلهمهم في تفادي الصعاب

وتمنحهم لحظة استراحة من هموم الحياة اليومية،

فالسُرُّ في المَسِيرِ...

وإنما السكون والثبات

كمثل من تمر من أمامه الحياة!

أنت من الأحياء ما دمت تسيرا...

وعند المسير على درب التنوير...

وبينما تنكسر أجزاء من جسدك...

تنجبر زوايا أخرى من روحك!

ستفقد أشياء...

لكنما تكسب مدد السماء...

فترتقي!...

وكلما طال المسير

انهدم الجدار

وانجلت الأسرار

واقتربت روحك من منابع الأنوار!...

(وقال لي: سِرْ... فأنا دليلك إليّ)...

النفري

إشراقة (3)

من يزيل حجبه في الداخل

ينكشف ما عنه محجوب في الخارج!...

فتنجلي له حقائق الأشياء

وتنكشف له أسرار بعض ما يدور في السماء!...

إشراقة (4)

سلام على القلوب التي لا تفرّق بين البشر

وتبصر في كل من تراه القلب والجوهر

سلام على القلوب التي صَفَّتْ من الشوائب

فأصبحت مهمومة في خدمة الخلق على النوائب!...

الحصاد الوفير

وبينما كنت أسير، رأيت رجلاً كبير السن، ظاهره كسير الحال، يعتاش على بيع أشياء يصنعها من خوص النخيل، وكان في عينيه فرح وبريق لا يمكن وصفهما من حدة ورقة، فأسرني ذلك، فسألته عن حاله، فقال : كنت أعيش هنا بين الناس، ولكني بعد أن رأيت ما رأيت من البشر، ذهبت إلى ذلك الجبل العالي وعشت هناك في كوخ لوحي عليّ أجد السلامة منهم، وكنت مستأنساً بوحدتي، ولكن بعد أن تأملت حالي، عرفت أن وجودي هناك هروب، فكافحت رغبتني في الانعزال، فلا قيمة للإنسان عندما يحيا فقط لنفسه، وعرفت أن العزلة لا تصح إلا عندما تكون بمثابة استراحة محارب، ثم مواصلة خوض الحياة، ومساعدة الناس كي يعيشوا حياتهم بأقل ما يمكن من المعاناة، ففي عزلتي لم يكن عندي جار أواسيه في محنته، ولا غريب أدله على الطريق أو أقضي له حاجته، فقفلت راجعاً إلى قريتي لأعيش بين الناس، حيث الحصاد الوفير! ففي الأمس أوقفت معركة نشبت بين اثنين، وواسيت غريباً جارت به الأيام وانقطعت به السبل، وهذا يوم جديد، فإما أن يأتي رزقٌ أعيش به عزيزاً في الأرض أو رزق يفتح لي طريقاً صوب السماء!...

إشراقة (5)

فإن عرفت أن كل من يلقاك...

هو نفخة ممن أوجد الأفلاك...

سيوسع صدرك لكل الخلائق...

ويبصر قلبك خافيات الحقائق!...

إشراقه (6)

وإن هاجت أحزانكم

التفتوا صوب أرواحكم

ثم احضنوا أنفسكم...

فقلما تجدون من يحضنكم في العالمين!.

حديث الصباح

كان يبدأ يومه، وكأنه تيار ماء، انطلق تَوّاً من نبعه...

فاندمج مع جريان النهر، حتى وصل الى مصبّه...

وكانه موعود برحلة محفوفة بالدهشة!...

وبسبب إنسانيته المفرطة...

كانت أناشيد أهل الجنة وكأنها تصدح في قلبه!.

كان باطنه يعكس ظاهره...

وظاهره يفصح عما في باطنه!.

وكان كلما انتبه لنفسه...

رَمّم علاقته مع روحه!..

وكان حديثه الصباحي مع نفسه

هو أن لا يدع طبعه البشري

يغلب جزءه الإلهي!.

وأن لا يدع روحه معه عندما يكون في حضرة الناس!...

بل أن تكون في مكان آخر!...

(ما نخسره على صعيد الشكل...

نكسبه على مستوى الجوهر!..)

إيكهارد تول

إشراقة (7)

ليس عليك أن تكون قديساً...

كي تدخل إلى مملكة النور...

فربما وصلت إليها من لمسة حانية...

رَمَمْتَ بها قلباً مفطوراً!...

إشراقة (8)

من عرف الله استلذ بالصمت...

فبينما تحسبه غارقاً في سكوته...

يتنقل فرحاً بين الأكوان...

بعدما أبصر في قلبه ملكوته!...

نور الحقيقة

وكانت أقوى حواسه، هو حس الانتباه،

لأولئك الذين انقطعت بهم سبل الحياة...

فكان ينطق بما تجول به خواطر البائسين

ويلمس بدهةً مشاعر المكسورة قلوبهم!..

والويل له من نفسه...

إن شعر يوماً بالامتياز عن الناس

أو أنه من خيار أهل الأرض

أو من المقربين من رب السماء!.

وكان كلما رمى ببصره إلى الأفق الأبعد...

أصبح أكثر اقتراباً من حافات روحه!..

وبينما كان يعمل في صمت...

كانوا هم يهدرون الوقت بالجدال والكلام...

الليل فرصته لرؤية النجوم...

والصمت وسيلته لیبصر نور الحقيقة!...

فـالـخـوف كل الخوف...

ليس في فقدان النطق

بل في فقدان القدرة على الصمت!

فربّ صمتٍ وسُكّاتٍ...

أنطق من بليغ العبارات!

اللّسان المشوي

الكلمات الوحيدة الجديرة بأن تقال...

هي تلك الأفضل من الصمت!... مثل صيني

في زمن سحيق القدم، كان هناك ملكٌ يحكم مملكة يوكاتان، وكان يهوى صيد الحيوانات البرية، وأن يكون طعامه من الطرائد التي يصيدها، وكان لديه طبّاخٌ حكيم...

وفي يوم من الأيام وبعد رجوعه من حفلة صيد دسمة، سلّمَ لطباخه حيواناً تم اصطياده للتوّ، وطلب منه أن يطهو له أفضل جزءٍ منه، فكان حظ الملك في ذلك اليوم أن يتذوق اللسان المشوي، وفي اليوم التالي رمى الملك على طبّاخه صيداً آخر، طالباً منه هذه المرّة أن يعدّ له أسوأ جزءٍ منه، فانهمك الطباخ في عمله، وعندما مدّت سفرة الملك، وضع عليها اللسان أيضاً!...

(كل المجد لمن اختار الصمت، حين كان قادراً جداً على قول أسوأ الكلمات،

لأنه يعرف جيداً أنه ما من كلمة سيئة تمرّ بلا ثمن!..)... شمس التبريزي

إشراقة (9)

الأصل هو الصمت...

وإن ضرّ الصمت حلّ دور الكلام!

ومن عرف الله قلّ كلامه...

وزاد بالسموات العلى هيامه!...

إشراقه (10)

وفي أوقات صلته...

كان يقضي أجمل رحلاته...

منقطعاً عن العالم...

منفصلاً عما يربطه بذاته وصفاته!...

حرر عقلك

تدرّج جيداً...

واحذر من نفسك...

فربما تأتي هزائمك على يديك...

فمعظم مشاكل الإنسان تأتي من داخل نفسه!...

انظر إلى أحزانك...

وكانك تنظر الى عيني ذئب يريد افتراسك...

انظر إليه بتأمل عميق

بصبر وروية... بطريقة صوفية

فإذا به يفقد سطوته

يضعف... أو يتلاشى

أو حتى يصبح شيئاً يدعو إلى السخرية!..

أكرم نفسك بإغلاق الملفات والجروح المفتوحة...

حرر عقلك من أسر القصص القديمة...

فكل حكاية حزينة مخبأة في القلب... عبء!...

أوهبها في سبيل الله إلى من آذاك!.

أو تصدق بها عن نفسك...

فإنها أغلى أنواع الصدقات!..

ألا تعلم أن من أعظم القربات

إسعاف أصحاب الحاجات!..

وأولهم نفسك!..

إشراقه (11)

الكراهية قذى في العين...

تعيق رؤية الطرقات!..

ثم إنها ثقب في القلب!

تتسرب منه الحياة!...

إشراقه (12)

اعمل أي شيء لجعل العالم أجمل...

وإلا كُنْ ممتناً لمن يسعى ويعمل...

وإن لم تُعنهْم كصديق...

فلا تكن كحجارة الطريق!

روح حرة

كان يملك روحاً حرة

مثل ماء قد نَبَعَ من الجبل

فانطلق حرّاً بين الروابي والحقول

مبتعداً عن مسار الجداول والأنهار...

كان قوي البصيرة...

فمن قطرة ماء يكشف أُلغاز البحار...

ومن لحظة عشق تتجلى له أسرار الحب...

وكان في كل عتمة يبصر وهجاً يوشك أن يظهر!

وعندما بلغ سن الثمانين

كان قد تعرّى قلبياً من كل ما يفنى!..

وتخلّى عن كل شيء

ولم يعد يملك غير اسمه وشهرته

فوضعهما في القبعة

ووقف على ناصية الطريق

ونادى في الناس بأعلى صوته:

من يشتريهما مني بدرهمين؟...

إشراقة (13)

أينما كنت دع روحك تزهر

أو كن ممن للآخرين يثمر...

وامنح أثمارك للآخرين...

مؤمنين كانوا أو كافرين!..

إشراقة (14)

ومثلما تفعل المرايا...

ستنعكس عليك ما منحت من عطايا

كلمة حب أو لمسة عطف...

أو حتى إن كانت من طيبات النوايا!..

أنعش قلبك بالمحبة

فتعجبت منه كيف يتسم

وقلبه يحمل كل هذا الهمّ!

حتى قلت لنفسي:

يا الله... من أين أتى بكل هذه الرحمة

وهو الذي لم يبقَ أحدٌ في العالمين

لم يقسُ على قلبه!...

حتى إذا ما طوّقته المصائب...

واقترب من حافة الجنون

وأصبح يردد مع نفسه:

بربكم، هل هذه الحياة التي نعيشها تسمى حياة؟

فإذا به قد تماسك قبل الاستسلام بلحظات

فأمست الدنيا فجأة تدور

وتنزل عليه ألطاف الله

ومثل السحر تنقلب الأمور!...

فهدأت روحه ونام بقلب مسرور

وعندما حلّ الفجر...

نهض من جديد

مغالباً جروحه

معتمداً على قوة روحه

ثم اغتسل بنور الله...

ومسح على قلبه بدفء يديه

ليزيل عنه مرارة الأمس

وينعشه بالمحبة

ثم أمسك عصاه بقوة...

وقفز منطلقاً كالسهم!.

أصيص الزهور

لما أفاق من النوم...

شعر بهمّ عظيم يكتّم أنفاسه

حدّس أن عليه إصلاح شيء ما مكسور

فخرج من بيته متجولاً بلا هدى

علّه يجد شخصاً كسير القلب فيجبر كسره

فلم يجد أحداً...

ولكنه رأى إناء فخار مفظور

نبت عليه جذعٌ أجرد

كان يوماً أصيصاً للزهور

فأعاد تثبيت الفخار وأصلح تربته

وسقاه من عطف روحه

فشعر وكأنه يصلح حال إنسان ذي قلب كسير... وشيئاً من قلبه!.

وبذلك فقط هدأت نفسه، وانزاح من صدره همّه!..

إشراقة (15)

وإن وهبته الحياة

شيئاً من الخيرات...

أعاد الى الحياة صنيعها...

عبر أضعف المخلوقات!..

إشراقة (16)

كان مثل طير مفرد الجناح...

جاهزاً للتخليق مهما اشتدت الرياح...

يقوده عطفه...

صوب أي فؤاد أثخنه الجراح!..

رحيق المحبة

كُلُّ إحساس بالرحمة أضاء يوماً روح إنسان...

سينتقل صداه إلى أرجاء الكون!...

وكل نية مَحَبَّةٍ ظهرت في قلب أحد...

ستنتقل كشعاع النور الى النفوس!.

والمحبة أعظمُ طاردٍ للخوف!.

إنها رحمة من الخالق لتحرير المخلوق

من مخاوف لن تحصل غالباً!..

الخوف... حرب يومية صغيرة نخوضها مع أنفسنا!.

والمحبة... رحلة سحرية نجوب بها العالم!..

لا شيء حقيقي، هادئ وعميق، سوى المحبة...

فإذا سلكتم طرقاً مريبة

وسدّت عليكم الأبواب...

وضاقت بكم الدنيا الرحبية

املأوا قلوبكم برحيق المحبة...

فليس لكم إلا المحبة

فلربما تُنْجِي أرواحكم من أنفسكم...

وتحرركم من مخالبتكم وأنيابكم!...

إشراقه (17)

مَن كانت روجه تارةً تسرح في كواكب السماوات...

ثم تعرج لتسبح بين صفائر الذرات...

فلن يُعكّر أي شخص مزاجه...

ولا حادث يؤدي إلى هياجه!...

إشراقه (18)

إنما الموت والحياة... لوان...

في لوحة رسمها خالق فنان!.

تتداخلان... تتبادلان الأدوار...

في ذات الآن!..

الروح اللطيفة

أيها الإنسان أشفق على أخيك عندما يفقد الأمان

واترك في قلبه الإحساس بأن الدنيا لا زالت بخير...

وأن الأمور ستغدو يوماً ما على ما يرام...

وأن الكون يسير في تناغم وانتظام!..

ولا تغادر هذا العالم...

إلا وتترك عليه السلام...

واصطف مع الناس المنكسرة قلوبهم...

ممن لا يعرفون التحايل ويأخذهم الحياء!..

الذين يدفعون ثمن رقّة أنفسهم...

ويتعايشون يوماً بيوم مع بؤسهم!..

وأبصر الضياء اللامرئي في الإنسان

إذ يمكن لأي إنسان، مهما كان،

أن يشع ويضيء!..

وستكون في حضن الله...

إن احتضنت الغريب

كما لو أنه شخصٌ قريب!...

أشفق عليه أياً كان

فهو مخلوط بالتراب

ومنه أخذ هشاشته وضعفه

فالشفقة روح لطيفة تسري بيننا... تطهّرنا

وتخفف علينا قسوة الحياة!...

والشفقة... صدقة

نمنحها لأنفسنا!

النداء الداخلي

عندما انتقلت الى مسكنها الجديد،

انتابها فرح شديد خفي عنها مصدره وعجزت عن وصفه،

وشعرت أنها مقابل ذلك تريد أن تفعل شيئاً طيباً لأي أحد،

وإن لم تفعل ذلك، فلن يطيب لها منام، ولن تنعم بالسلام

وكان حالها مثل زهرة ضاق بها عطرها، فلا بد أن تفوح به للكون

فسمعت نداءً داخلياً يدعوها لأن تذهب الى فناء تتجمع فيها الحيوانات السائبة.

فذهبت مسرعةً الى هناك واختارت كلباً أسوداً وحيداً

تلوح عليه علامات البؤس والهزال، لا يرغب به أحد

فأخذته معها إلى البيت،

حمّته بالماء الدافئ، وأطعمته، وجلست تداعبه بحنان،

فإذا به قد هدأ واستقر واستكان،

وفي تلك اللحظة، كان الله يحرس روحها،

وينشر نوره في أنحاء قلبها،

يهبها الدفء...

ويعمنحها السكينة والسلام!

إشراقة (19)

العنف طريق الجبابة والمجرمين...

والسلم طريق الأنبياء والمصلحين...

والعنف قد يحل مشكلة آنية...

لكنه يولد عُقداً بعد حين!...

إشراقة (20)

وإذا ما شبَّ حريق في الجوار

كان أول الواصلين لإطفاء النار

فإن اشتهر بفعاله وغدا محط الأنظار

إختفى سريعاً عن الأبصار!...

سيرة معلّم

كان يبتعد عن المسرّات الاستهلاكية التي تنطفئ بسرعة، ويبحث عن المسرّات العميقة التي تمدّ جذورها الى داخل روحه، وتتحوّل شيئاً فشيئاً الى سكينه وسلامه، وكان يتمرّن على تحسين قدرته في تخطّي الألم والإحباط الذي يواجهه في حياته اليومية بأسرع وقت ممكن، بل ويتحدى نفسه في سرعة تجاوز انكساراته النفسية وكأنه في سباق مع الزمن، ولم يكن ممن ينام ليلته مع أحزانه أبداً، وكانت أخطر لحظات حياته هو عند بقائه حزيناً كسيراً، والهزيمة بالنسبة له هي عندما يفشل في النهوض بسرعة من جديد. كان يتمتع بالحياة الى أن تحين ساعة أفولها، وعندما تحين تلك الساعة، لم يكن يلهث لإمساك خيوط الشمس المتلاشية، بل يستمتع بساعة الغروب، وبدء هبوب نسيم الجنوب، وحلول حياة الصفاء الأبدية!...

وكان يقول :

ليس عندي أية شروط على الحياة،

ولا أريد منها أية طلبات!...

لا أتأسف لأي شيء خطّه لي القدر...

وبينما أسعى جاهداً لتحسين حالي،

فإنني لن أكون إلا نفسي...

ولن أنشد أبداً أن أكون الأفضل بين الناس!.

وفي الوقت الذي لا أبرر ما أفعله للآخرين...

فإنني لا أنوي أبداً تغيير أحدٍ في العالمين!...

لن أقتني أي شيء ما لم أكن على استعداد

في أي وقت للتخلي عنه بكل رضى!.

المجنون

دعهم يصفونني بالجنون..

فطالما بدوت للناس مثلما يصفون!...

أهبل، غرّ، مجنون...

ليتهم أدركوا أن بين أضلعي قلباً رهيفاً...

يفتنه جمال هذا الكون!.

فربما نسمة هواء أو حتى لحظة سکون...

تملؤني بالنشوة... تسكرني

تجعلني مشدوه البال، بالجنّ مَسكون!...

(كان داركي ريبيرو يدخل إلى الغابة ويخرج منها كما لو أنها بيته، فيحمل معه متاعاً متواضعاً، كتاباً وحيداً فحسب، نسخة إسبانية قديمة من رواية دون كيشوت، فيستلقي على أرجوحة النوم متأرجحاً بين شجرتين في غابات الأمازون الخرافية الجمال، ويستمتع بكتابه المفضل، ومع كل صفحة كان يقرؤها يطلق قهقهة إلى السماء، فيضحك الأطفال المتجمهرون حوله، لم يكن أي منهم يعرف القراءة، ولكنهم جميعاً كانوا يعرفون كيف يضحكون)..

أدواردو غاليانو

إشراقة (21)

وكان عند حضوره...

تستضيء القلوب بنوره!.

ويشع نشوانَ إن خَفَّ عن أحدٍ أحزانه...

أو أصلح يوماً أسوار جيرانه...

إشراقه (22)

الويل للنفس...

إن لم تُظهِر دهشتها...

لو أبصرت شروق الشمس

حتى وإن أظلت عليها في الأمس!...

جلسة تأمل

جلستُ على شرفتي متأملاً..

فرأيتُ أن الشجرة تتعلق بأوراقها بعلاقة محبة...

فلا تحرسها بل تطلقها حرة...

فإذا ما تساقطت وتهشمت أمام عاصف الريح وأصبحت تراباً

فإنها لا تتن ولا تنحب،

فأوراقها ستعود عبر جذورها لتتبت عليها من جديد!...

وأبصرتُ حال السماء والمجرات والنجوم

فوجدتُ أنها تتعامل مع بعضها البعض بالتفاهم والتناغم،

ولولا ذلك لانشطر العالم بالانفجارات الكونية!...

ووجدتُ أن الشمس لم تطالب الأرض يوماً بالتعويض عن نورها وحرارتها،

ووجدتُ أن الذرات والجزيئات التي تنشأ منها حبة الرمل

تتعامل فيما بينها بالمحبة، ولذا عمّ السلام الأرض!...

إلى أن جاء الإنسان!...

أولى الخطوات

وأثناء رحلتي، رأيت صعوبات وأهوالاً، حتى كنت في إحدى اللحظات على وشك الانهيار، فلما ضاق صدري مما جرى لي، واسودّت الدنيا في عيني، تراءى لي وكأني سمعت صوتاً يقول لي:

ألا تعلم أن الأرض مثل ذرة تراب نسبة إلى السماوات، وإن أراد الله أن تكون الأرض لقمة تبتلعها ثقبوب السماء كحشاشة بين فكّي جراد، فهل من رادّ لفعله، وهل من رادّ له إن قلب سافل نفسك إلى عاليها؟

فعندما وعيتُ ذلك الصوت، انشرح صدري، ولزمتُ حدود الأدب، وكانت تلك أولى خطواتي على الدرب، ثم اكتسبت، بعد طول عذاب، خبرة روحية وطفرة معرفية، وعندما وصلت... تطهرت، وكان أحداً ما قد سكب على قلبي دلو ماءً بارداً!...

وفي لحظة عميقة من الصفاء...

بدأت حالة الارتقاء...

فأبصرت أشياء وأشياء...

وكان الله قد وهبني عيناً ثالثة،

فرأيت مسرات تُبهج القلب لم أكن أراها من قبل...

وكانها قد أنشئت من أجلي للتوا...

فانتقلت من الانغماس في الذات

إلى الذوبان في الكائنات!..

وشعرت كأني أصطفّ على طريق النور

فرجعتُ كما كنتُ سابقاً على الفطرة

وانتظمتُ على خط سير الطبيعة

وترتّبثُ أشيائي المبعثرة...

وغمرني فيض نوراني شفاف نقلني إلى مقامات عالية، ووجدت نفسي في حالة روحانية

زاهية يصعب وصفها في كلمات!...

قال النفري : إذا اتسعت الرؤية... ضاقت العبارة!.

إشراقه (23)

عش كما ربك يشاء...

وستبصر جمال كل الأشياء!

وكي تكون في قلب الخالق الأحد...

اسلك طريقاً لا تنافس فيه أحداً!...

إشراقه (24)

وإن دخلت يوماً إلى حديقة غناء

ورأيتَ فيها سبعين ألفاً من طيور السماء

وصدحوا بالغناء ليعلموك أنك من الأولياء

فحذارِ أن ترضى عن نفسك!...

لا تنكسر

عفواً أيها الكادح المسكين...

لن ينصفك أحدٌ من العالمين..

ولا حتى الأحاب...!

إلا عندما يضمّك التراب...

وعندها سينصفك الدود الصغير!...

فيساوي بينك وبين الأمير...

ليس لك يا صاحبي إلا يوم الدود...

أو عند ربّ كريم في يوم موعود!...

ثم إنني مثلك مجروح...

والجروح كادت أن تلمس الروح!

ولكن الشجاعة لم تنزل تملأ الجنان

فالانكسار ليس في الأغصان

ولا حتى في الفروع...

وإنما عند الجذوع!...

أيها المسافر

أيها المسافر...

لا تضع قلبك في أي منزل...

وإلا أصبحت مهموماً عند الرحيل!...

أترك ما اعتدت عليه...

طُف ، سائحاً في رحاب الأرض، سيّاراً...

هائماً في عباب البحر...

او سارحاً في القفار!...

أيها المسافر...

أعظم رحلاتك هي أن تتحرر من أسر نفسك...

وتتجه صوب روحك!...

فالروح كائن شفاف لطيف...

لا يمسه إلا ذو قلب رهيّف!

تماهى فيه كلما انتبهت...

وتغلغل بين طياته...

وكن في تماس معه لتغنم ببركاته...

فإن فعلت ذلك...

ستغمر نفسك بفرح ينبع منك...

ويصبُّ فيك!.

أيها المسافر إلى المكان البعيد...

اذهب إلى أي أرض تشاء

حلِّق في أعالي السماء...

وعند النهاية... ارجع إلى قلبك...

اجعله مناراً تسطع منه أنوارك...

ليكون منتهى أمرك وآخر ديارك...

وأقرب إليك من كل سُمارك!...

إشراقه (25)

ليس الغريب من ليس له حبيب...

وإنما من كان مع نفسه غريباً!

ومن ليس لذاته صاحباً وطبيباً!.

الغريب من لا يكون لنفسه أنسه!..

إشراقه (26)

لكي تعبر بخفة جسر الحياة

وتستبشر لو حان وقت الممات

تحلّى بنبع عظيم من الحب

وأيسر ما يكون من الرغبات

صَادِقُ كُلِّ الْكُونِ

إِن أُكْرِمْتَ يَدِيكَ بِالْعَفَّةِ...

سَتَنْبِتُ لَكَ أَجْنَحَةً تَطِيرُ بِهَا رَوْحَكَ!...

وَإِن أَرَدْتَ أَنْ تَحْصَلَ عَلَى مَنَّاكَ

رَافِقٌ مِنْ يَرْتَقِي مَعَهُ حَالُكَ!...

وَصَاحِبٌ مِنْ يُؤَدِّبُ حَسَنُ مَنْطِقِهِ مَقَالِكَ!...

وَلَا تَعَادِ أَحَدًا، لِأَنَّكَ بِذَلِكَ تَعَادِي نَفْسَكَ!...

وَسَيَقُودُكَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَعَادِي الْعَالَمَ!.

صَادِقُ كُلِّ الْكُونِ...

وَلَكِنْ اجْعَلْ نَفْسَكَ صَدِيقَكَ الْأَعْظَمَ!...

وَلِيَكُنْ عَدُوَّكَ مِمَّنْ لَمْ يَخْلُقْهُ اللَّهُ بَعْدًا!.

خدمة المخلوقات

الإنسان بفطرته روحاني...

ولكن رجال الدين المتعصبين

سرقوا منه روحانيته!

فجعلوا من الإنسان عبداً طمّاعاً أو خائفاً

وليس حرّاً عاشقاً!..

وإن أردت أن تكون من أهل الدين...

فلا تكن مهووساً بالتحريم

فالأصل هو الحلال...

وعندما يضرّ الحلال يبدأ تشريع الحرام!

وكن مثل طير يحلّق بجناحين...

الأول: لا تجرح أحداً من الكائنات...

والثاني: كن في خدمة المخلوقات!..

ولن تكسبَ حب كل أهل الأرضين

وإن كنت من أهل الصلاح...

يكفيك حب أهل السماوات...

وبعض الناس الطيبين!.

إشراقة (27)

لن تكون روحانياً...

إن لم يشفق قلبك على الإنسان

في كل مكان... كائناً من كان!...

فاسقاً أو زنديقاً أو حتى زانياً!...

إشراقة (28)

عندما يشعر بضعفه ومن قبل أن ينهار...

يتذكر حشداً من الناس الأخيار...

ممن يستندون عليه...

فيتماسك منتصباً مثل الجدار!...

تعال إليّ..

تعال إليّ أيها الفقير المسكين...

فأنت مثلي نورٌ معجون بالطين...

ولا يهم من تكون، من العجم أو العرب...

معروفاً أو حتى مقطوع النسب!...

فكلانا في رتبة واحدة...

موصولان برباط رباني متين!...

واعلم يا أخي...

أني قد عشت الحياة يوماً بيوم

بالحلو والمرّ... بالسّم والسُّكّر

ولم أشعر بحلاوة شيء في قلبي

إلا عندما أكون متصالحاً مع السماوات

وفي حالة عشق لكل الكائنات!...

وأنت أيها الجار الغريب...

تحدّث معي

قل لي ما تشاء، ولا تخف مني...

فأنا خائف مثلك...

وربما سهوت يوماً عنك ولم أفِ بحق الجوار!

فالويل لي... إن كنت أنت جليلاً عند ربك!...

إشراقه (29)

الروحاني يستلذ قلبه

من كل ما وضعته الأقدار على دربه

فيستوي لديه حلو الأوقات...

وتلك التي تحفل بالمرارات!...

إشراقه (30)

كان خالق الكون وحده معبوده

والعالم محراباً لركوعه وسجوده...

وكان جوهر الإنسان وليس مظهره...

هو مرمى بصره ومحلاً لنظره!...

وقت الإشراق

وبينما تطحنك الحياة في صراعات لا معنى لها

أو تجعلك عالقاً في متاهات لا مخرج منها

تذكر أن الله لم يخلقك عبثاً لكي تموت...

من قبل أن تعيش!...

وإذا اندمجت يوماً في لعبة الحياة

وسرحت لاهياً في دروبها...

غارقاً في لذات لا تروي الروح

إجمع ما تبعثر من أجزاءك...

وارجع إلى قلبك، مسكنك ومعبدك!...

ولو كنت تجيد اللعب مع أيامك...

فإن ذلك اللعب هو الجد بعينه!

وكلما انشغلت بخطايا الآخرين ونقائصهم،

تسممت خلايا روحك،

وتوحش قلبك، وذهب صفاؤه

واستوطنت فيه نوازع دونية

تغذي الرغبة في العنف وحب الجدل من أجل إثبات الحال...

فإن أردت أن تكون من أهل الله،

فقم في أوقات إشراقك

بتنظيف زوايا قلبك من الشوائب

وما علق فيها من الرغائب

والتفت دائماً لحالك

واشغل نفسك بنفسك

فإن فعلت ذلك...

فستبصر في كل ذرة من تراب الأرض أقماراً تدور

وأفلاكاً، ليس لها عدّ، تمور

وأنهاراً تجري، ورياحاً تسري

وعوالم سحرية وكنوزاً مخفية!..

(على قدر حلمك تتسع الأرض...). شمس التبريزي

إشراق (31)

كان يبحث عن النور بين طيات ذاته

أو يسرح في آفاق الله كي يبصر آياته...

أو ربما يغمره السرور يوماً!

حتى كأنه فلك في السماء، سابح بين مجراته!...

إشراقه (32)

إن كنت في خدمة المساكين...

فإنك قد حظيت بكنز ربّاني ثمين...

إذ جعلك الله ممراً يوصل لهم أصدافه...

واصطفاك من بين خلقه مساراً لألطافه!...

... نقياً كروح

كان معلّمي يتحلّى بالصفاء...

وإن حضرَ، شعّ ضوءه الداخلي، فأثار الأجواء!...

وبالرغم من كل الجروح...

فقد كان يسعى أن يعيش نقياً كروح...

فإذا فعل، يسري فيه تيار يجرف السموم...

فتنقلبُ أحواله وتتبدّدُ الهموم!...

وإذا ما أبصر يوماً زهرة تفتّحت، وانكشفت أوراقها نحو الخارج فإن ذلك سيلهمه للتفتح

والانكشاف، ولكن صوب الداخل!.

كان الكونُ كلّه داره...

وكان كل حيّ يدبّ على الأرض محطّ أنظاره!...

ولأن روحه قوية البنيان...

فقد كان أشدّ الناس ضعفاً،

في المواقف التي تتطلب منه الغفران!...

وكان يصل الى أقصى ما يمكن أن يصله الإنسان

ليلامس الحافات العليا للروح...

حتى تحسب أنه لا يسكن في جسد ذو رغبات،

وكان جريئاً وقت الخوف...

ورقيقاً كالريشة في لحظات الحبّ!...

كانت روحه الشفافة تتسرب بهدوء الى أرواح الناس،

فينسون مخاوفهم ويتبدد قلقهم

وكان كلما جزع من الحياة

ووصل الى حافة اليأس...

أعادته الى صوابه صغائر الأشياء...

نسمة هواء أو سرب طيور في السماء...

أو ربما طفل يلهو مع صنوبر ماء!...

ومما يُحكى عنه، أنه في ذات يوم قارس البرد

حيث لا ينشغل الإنسان فيه إلا بتدفئة نفسه،

رأى عجوزاً ترتجف...

فغافل قسوته للحظة...

ورمى عليها معطفه الوحيد

وولّى هارباً من نفسه!...

فإذا به على جناحٍ طيرٍ كان يحلّق صوب السحاب!...

إشراقة (33)

وإن خشيتُ من جرح المخلوقات

عَرفتُ أن رُوحِي تَلطَفُ

وأنها من الأُكدار قد صَفَتُ

ثم من رب السماء اقتربت!...

إشراقة (34)

وإن صَحَكْتُ ولم يبتهج العالم

فضحكتي مزيفة!...

ولو إن فرحتي لم تظهر على وجه الكون

ففرحتي كاذبة!...

موجة المحبة

كُلُّ شيء في هذا الكون،

بشرٌ كان أو حجر،

كوكبٌ في أطراف السماء

أو حبة رملٍ في الصحراء،

مترابط متداخل مع بعضه البعض

بطريقة حساسة ذكية،

ولولا أن المحبة تربط بين كواكب السماء ومجراتها

وبين كل ذرة من ذراتها،

لما بقي الوجود!...

وأنت أيها الإنسان...

إن أردت أن تبقى على قيد الحياة

اعتلِ موجة المحبة!...

وكن ممن يقابل الحب... بحبّ مضاعف

لكن لا تكن ممن يستند عليه...

وإنما على خالق الحب استنادك!
فحبّ البشر إحساس هَشّ الأساس!...

إشراقة (35)

عندما أشعر بأني جزء من الأكوان
تصغر في عيني الأحزان...
يتَّسعُ الطريق...
ويصبح العالم أجمعه صديق!...

إشراقة (36)

عش في قلب الحياة
ولا تجعل الحياة تسكن في قلبك
ثم، إياك أن تعرف عند الممات...
بأن لديك ألف شيء طيب لم تفعله بعد!...

ازرع ورداً في الداخل

أقبل على الحياة...

وستهرع الحياة إليك!...

ولا تحمل على ظهرك

مخزناً يمتلئ بالأحزان القديمة

تسحبه معك أينما ذهبت!.

فالسعادة فنّ التخلص من الأحمال!...

وكلما اقتربت من روحك

وصلت إلى آفاق بعيدة...

فتشعر بشروق الشمس...

وإن كنتَ لم تزل بعدُ في الظلام!.

دع العزلة... فهي ليست إجابة أسبرين...

وإراحة النفس مؤقتاً من الناس المُتعبين!...

فإن تجاوزت الوقت المطلوب...

أصبح ذلك هروباً!.

فالناس يسكنون فيك شئت أم أبيت!

لا تبين الأسوار في الخارج...

أزرع ورداً في الداخل!...

واعلم أنك إن غدوت عاشقاً...

تمسي معشوقاً!...

إشراقة (37)

وإذا ما شعرت بالضيق والهلع...

فلعل ما يربطك بالكون انقطع

وإن ذلك يتطلب وصله...

مثل فرع لا بد أن يرتبط بأصله!...

إشراقة (38)

ومن يحجُّ بقلبه الى خالق الأكوان

سيرى في اللون الأسود كل الألوان!...

ويبصر في وقت الغروب الشروق

بل يرى نفسه ممتدة في كل مخلوق!...

نداء إلى الطيبين

انتبهوا لأنفسكم أيها الطيبون...

فقد لا تعلمون أنكم طيبون...

وربما تجهلون كم أنتم كرماء، ولو كنتم الى حد السذاجة أسخياء!

أنتم واضحون مفضوحون...

ساهون عن لحومكم المكشوفة لقطعان الذئاب!

وبينما أنتم تبادرون دوماً بفتح الأبواب...

فإنكم أول من يتلقى السباب!

وكلما هممتم بالتشاطر فضحكم صفاء قلوبكم،

تعظمون هفواتكم وتستصغرون خطايا الآخرين،

وربما تستغفلون أنفسكم من أجل أن لا تجرحوا أحداً..

ورغم أنكم على أقدار الحياة تتجملون...

ولكن عن تجميل العالم لا تتوقفون!...

وبينما بيدٍ تزرعون الثمار...

فبالأخرى تصدون الأذى من رماة الأحجار!

أو قد تنزّون عن العالمين!...

أو ربما تدعون الجنون كي تتفادوا الأشرار...

ومن رحمة الله على الناس

أنه كلما اشتدّت الكراهية...

انفجر ينبوع الحبّ من قلوبكم كمعادل لها، كي تستمر الحياة!

فإذا ما قذف الأشرار حمم نارهم، فجّرتهم ينبوع نوركم!.

ليعمّ التسامح وينتقل الإنسان من نار الحرب إلى نور الحب

فتستعيد البشرية روحها من جديد!..

اعرفوا أنفسكم أيها الطيبون

لا يفهم آلامكم إلا أشباهكم...

ولن ينصفكم إلا من هو أطيب منكم أو مثلكم!.

أنتم النور الذي يضيء هذا العالم

ورحمة من الله على البشر

ولولاكم لاهتزّ توازن الأرض

وأصبحث مرتعاً للظالمين!...

كونوا فخورين بأنفسكم ولا تجزعوا أبداً

فالله يتولى الصالحين...

وأنتم بعينه محروسون!.

إشراقة (39)

فديت كل من يحرث الأرض

ويملأها بالبذار...

ويسقيها من كل قلبه

ثم لا يفكر أبداً بالثمار!...

إشراقة (40)

إنما الانكسارات... إشارات

بأن كل شيء إلى فناء وممات!...

وأنها لنا منبهات...

بأن لا نأخذ الأمور بكثير من الجدية!...

صوتك الداخلي

عندما تنتابك الهموم...

ستترك في قلبك غصة...

ثم تعرف أن وراء ذلك قصة!

وأن فيها إشارة يصعب إدراكها في عبارة!

بأن الدنيا ليست دار سرور...

بل حال يدور!...

وإنما الكمال في السماء...

وكل ما عدا ذلك نقص وهباء!...

فتحمد الله أنك ضيف غريب

ستترك الأرض وما عليها عن قريب!...

مخلفاً وراءك الصراع والعناء...

محلقاً صوب حبيب في السماء!...

وستعرف أنك عندما تموت...

ستكون مثل ضوء رجع إلى نجمه!...

أو شعاع نور انسحب إلى شمسه!
وأنه كلما مات فيك شيء... ولد منك آخرًا..
فإذا ضعف البصر... قويت البصيرة
وإذا خفت صوتك... قوي صوتك الداخلي
فالموت تلاشي المظهر وبزوغ الجوهر!..
ثم إنك مثل طائر...
والموت والحياة جناحك!
لن تطير إلا بهما!..

إشراقة (41)

كلما ضاق القلب من لؤم بعض أبناء التراب
اشتقتُ للتخليق صوب السحاب
فأفرّ منهم راجعاً إلى الله...
أو أسعى باحثاً عن كتاب!..

إشراقة (42)

إنما الحب...
رعشة تنتاب الروح!..

فما إن يلوخ... وضوعه يفوخ...

حتى تنهال عليك الفتوح!...

امنح الحب

قال معلّمي:

لا تطلب الحبّ من أحد...

كن كريماً، وامنح أنت الحب،

وسيرجع الحب إليك

ويحلّ ضيفاً كريماً عليك!...

فلا يمكن حمل ثقل هذا العالم

إلا بتوليد المحبة في داخلك

فاشتغل عليها كل يوم

اجمع مكوناتها بدراية

واخلطها بعناية

وامزجها بلمسة من روحك

ثم انشرها بوجه العالم

مثل ورد آن وقت كماله

وضاق عليه جماله...

فقام بنثر عبيره على العالمين!...

(رغم إشراقة الشمس على الأرض كل صباح على مرّ ملايين السنين...)

إلا أنها لم تمنّ يوماً على الأرض... انظر ماذا يفعل حبُّ كهذا

إنه ينير كل السماوات!...).

الشاعر حافظ شيرازي.

إشراقة (43)

الحب يبدأ بلحظة دهشة...

يبدّد الإحساس بالوحشة

وتختفي في حضرة القواميس...

وتنهار القواعد والنواميس!...

إشراقة (44)

وأرضكم، إن لم تكن قد أنتجت ثماراً

أو أينعت روائع الأزهار...

أو فجّرت من صخرها الأنهار...

فإنها ليست سوى حفنة تراب!...

من يوميات مشرد

في هذا الصباح ، اقترب مني مشرد...

كلب، مثلي مشرد!...

أحس بحالي وجلس بقربي

فهدأت نفسي وخبثت وحشتي

وشعرت بأني لست وحيداً...

وأني لم أزل على قائمة الأحياء!

وعندما حلّ المساء...

وجدت على الأرض ورقة نقدية حقيرة

وكنت قد بلغت حدّاً لا يطاق من الكآبة

تمنيت فيه أن لا يراني أحد، أن أكون شبحاً...

وكنت في حالة من الإعياء

لدرجة أن تحريك يدي أو حتى الإيماء

يتطلب مني جهداً لا أطيقه...

وكنت أبذل طاقة هائلة كي أبقى على ملامحي كإنسان

حتى حسدت حياة الحشرات من شدة بؤسي

فانكسر قلبي على نفسي...

فهرعتُ الى موميس عجوز عمياء

وقلت لها هذا كل ما عندي من مال!

وعندما أرادت أن تخلع عني الرداء

أمسكت يديها قائلاً: بحق السماء

لا أريد شيئاً... فقط احضنيني!..

(نص مستوحى من فيلم : Cardboard Boxer)

إشراقة (45)

وكان عندما يخدم الناس الأختيار...

تتحرر روحه من أسرها!...

مثل ماء محبوس بين طبقات الأحجار...

ثم انفجر من ينبوعه فسار في عروق الأشجار!

إشراقة (46)

يا حبذا لو كلما

تكبر في العمر

تكبر فينا حاسة الصبر

تنسع الضحكة... يتسع الصدر!...

مسؤوليتي كإنسان

ولأني بشري من النوع العادي جداً

ومرتبط مع الآخرين بطريقة ما

فإنني أشعر بأن جزءاً من مسؤوليتي كإنسان

هو أن أفعل كل ما يدخل الفرحة إلى قلوب البشر

كأن أجلب النجوم الى التائهين في الصحارى

ليهتدوا بها إلى الطريق

أو أصف جمال البحر وما يحتويه من كنوز وأسرار

لأناس يسكنون في أقاصي أرض يابسة...

وليس لهم حظ برؤيتها يوماً ما،

ربما أواسي مهرجاً عجوزاً لم يعد قادراً على العمل،

ففقده مصدر رزقه، وتخلى عنه الأقربون، وتركه المعجبون،

فأخبره بأنه لم يزل نفخة من روح الله،

وَأَن اللّٰهَ الرَّحْمٰنَ الرَّحِیْمَ

لَا یَنْسِیْ مَخْلُوقَاتِهِ!...

إِشْرَاقَةٌ (47)

أَنْتِ لَا شَیْءٍ..

إِنْ أُغْرِقْتَ نَفْسَكَ فِی الرِّغْبَاتِ!.

أَوْ قَدْ تَعْدُو كُلَّ شَیْءٍ...

إِنْ سَمَوْتَ بِهَا إِلَى نَفَائِسِ الْغَايَاتِ!..

إِشْرَاقَةٌ (48)

التَّنَوُّرُ هُوَ فَكُّ الْاِشْتِبَاقِ

بَیْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ...

لِتَوْلِيدِ حَالَةٍ مِنَ الصَّفَاءِ...

تَدْفَعُكَ إِلَى أَعَالِي السَّمَاءِ!...

الكأس الفارغة

هم بشرٌ عاديون، يصحون شاكرين لأنهم لا زالوا أحياءً يتنفسون،

ورغم أحزانهم اليومية ولكنهم يتعايشون معها

ويوماً بعد يوم يصبحون خبراء في تحمل ضربات الحياة

ورغم سوء حالهم فهم يتصدقون بالعطف على من هم أسوأ حالاً منهم!...

وإن دخلوا يوماً في صراع مع الذئاب،

فلا يتمثلون بصفاتهم ولا يستخدمون أسلحتهم!...

وهم من فرط رققتهم لو رأوا سوءاً يبدو عليهم وكأنهم لا يرون...

خوفاً من خدش إحساس أحد...

ولكن الله قد وهبهم ألف حاسة داخلية بها يبصرون!...

يغرسون في قلوبهم المحبة لكل شيء،

ويسعون لرؤية الله في كل شيء،

ويبتهجون أينما رأوا حالة فضيلة،

ويعملون كما لو كانوا رسلاً من السماء لخدمة أهل الأرض!.

يتقبلون بصبر مشاعرهم التعيسة،

ويلتجئون الى اللامبالاة تجاه الأشرار إن لم يكن لديهم سبيلٌ لردعهم!...

هم أشبه بكأس من نحاس...

فارغة لكنها صلبة!

قد تنبعج لكن لا تنكسر!

وقد تغيّر الشمس لوئها لكن ليس قلبها!...

وإن فراغها يمنحها صلابة داخلية!

ويمنحها حرية الامتلاء بما تشاء من نعم...

لتفيض بها على العالمين!...

إشراقة (49)

إن رأيتموني أرقص مع خلاني...

فبايقاع رقصي أطحن أحزاني!...

إنما أنا مثلكم إنسان وعندي أحزان

لكنما أتعايش مع ما أملك من نقصان!...

إشراقة (50)

كن في خدمة الناس...

في صغائر الأشياء مثلما في كبارها

فلا تعرف أين يخبئ الله لك هداياه!

وفي أي عمل تكمن بركاته وعطاياه!...

اللحظات القدسية

عندما بلغ صديقي الستين

كانت أمه قد أصيبت بالشلل

فتشرّف بخدمتها وحملها بين يديه...

ولما كانت تزن ضعف وزنه...

اشترى آلات رفع الأثقال وبدأ يتدرب عليها

من أجل تجديد عضلات يديه

ليكون قادراً على حمل أمه بين ذراعيه

وكانت تلك أقدس مهامه!...

من قال إنها أقل ثواباً من صيامه وقيامه!...

وأنت أيها الإنسان...

إن أبصرت معبداً فلا يغرّك نظافة أحجاره

وانظر إلى جواره!

فربما كانت تلك الأحجار

من بيوت الجائعين!...

وربما كانت أبنية معمورة...

شُيِّدَتْ على حساب قلوب مكسورة!...

ودعُ عنك صلاة الناس وقيامهم...

وانظر إلى حال الرحمة في قلوبهم!

وإن ما لا تقل قداسةً عن الصلاة...

هي تلك اللحظات...

التي نكون فيها بخدمة الآخرين!...

الأصل هو الفرح...

إنما الشروق نداءً للكائنات كي تفرح...

وإن كل مخلوق جديد، إن كان بشراً أو زهراً أو مطراً...

هو إعلانٌ للفرح!

فالأصل هو الفرح، والحزن مُرّ عابراً!

فاشكر وافرح، إن الله يحب القلب الفرحان!

ولا تقنط من إله أياديه الخفية تملأ الكون،

ولا تشتك إذا ما امتلأ قلبك بالأحزان

بل ارفع يديك إلى السماء وقل :

اللهم... أوكلتك أحزاني السرية...

وهمومي التي لا يعلمها إلا أنت!...

ثم ، إن أثمرت أوجاعك...

فأوجدت في قلبك رقة...

أو لحظة شفقة...

فكيف تسميها أوجاعاً؟

بل هي هبات

قُرْبَات... أو سفن نجاة!...

إشراقة (51)

ما دمت من الناس الأخيار...

لا تختفِ عن الأنظار!

فلعل حضورك يضعف الأشرار...

فالشمس في ظهورها تبدد الظلام!...

إشراقة (52)

شاغل همومك بالأسفار

سارحاً في أعماق نفسك...

أو في أرض الله سيّار

كشهرزاد لما شاغلت شهریار!...

ابدأ بقلبك

كل جلسة محبة مع نفس متعبّة...

تفعل فعل السحر في قلوبنا...

من قبل أن تلامس قلوبهم!..

فإن كان بالإمكان...

أن تعطف كل يوم على قلب إنسان...

كائناً من كان، فافعل!...

وابدأ بقلبك...

واعمل على تحسين العالم...

لاطف بائع الخبز

واضحك في وجه الغريب

وربّت على ظهرٍ قد أحناه الزمن

وعند البرد القارس...

لا تبحث عن معطفك لتنجو

بل اجمع الحطب وأشعل النار...

كي يتدفأ الجميع!...

عش وكأن الله أرسلك خصيصاً

لإصلاح النفوس المكسورة!...

الليرة الثانية

في مدينة قونية التركية، وعند استراحتي في مقهى شعبيّ لشرب كوبٍ من الشاي ثمّنه ليرة واحدة، نفحت صاحب المقهى، بكلّ محبة، ليرة ثانية، ففرح بها، ربما لقيمتها المعنوية، وقال لي بلغته التركية كلاماً بدا لي طيباً فاحتضنته على ذلك، وبعد ساعة، تفقدتُ هاتفي النقال فلم أجده! وفيه ملفاتي ودياري الصغيرة. ارتبك حالي، رجعتُ أبحث عنه في كل مكان بلا جدوى، فشعرت شعوراً غريباً بأن أقرب الناس إليّ في تلك الساعة هو ذاك الرجل صاحب المقهى، لأن شيئاً ما قد ربط بين روحينا! فذهبت مباشرة إليه وطلبت منه العون، ولم ينس حكاية الليرة الثانية، ترك عمله وهبّ لنجدي مرافقاً ومترجماً ليعينني في البحث عن الهاتف، وبعد جهد وعناء وجدنا الهاتف. ربما بسبب الليرة الثانية، والتي علمتني بأهمية زيادة الجسور المعنوية التي تربطني بالكون، وعمل الأشياء الطيبة مهما صَغُرَتْ على أن تكون قد خرجت من قلب صادق ومُزَجَّت بشيء من الروح!...

إشراقة (53)

بالامتنان لصغار النعم...

تغنم كبارها!..

وعند تقبل صغار المصائب...

يسهل عليك تحمّل كبارها!...

إشراقة (54)

حين يصفو القلب...

تشرق علينا الأنوار...

فتغدو كبار المصائب أحداثاً صغاراً...

وتبدو المسرّات في أشياء لا تلفت الأبصار!

العمل الطيب

كان شجاعاً...

يتدرّع بقوة الإيمان وصدق النية...

فيقتحم الحصون لينبش الأحقاد

ويخرجُ منها منتصراً بلحظة غفران!...

وكأنه قد أنقذ زهرةً قد غرست بين الآسان!...

وكان مباركاً في الأرض...

ومن أولئك الذين أرسلهم الله لتخليص عباده

من الكآبات الفجائية التي تباغتهم

ولا يملكون الحيلة لتخليص أنفسهم من أنفسهم

ثم ليذكّرهم بأن الله كان ولم يزل...

أقرب إليهم من حبل الوريد!...

كان يعتبر أن الله قد جعله أميناً على كل لحظة زمنية يمر بها،

وأن عليه عمل شيءٍ ما طيباً فيها من كل قلبه،

وأن الله قد أوكله على كل رقعةً من الأرض يجد نفسه عليها،

وعليه أن يجعلها أكثر دفئاً وسلاماً!...

صانع الخبز

حضر يوماً الى قريتنا رجل غريب لم يكشف عن شخصيته ولم نعرف اسمه، كانت نظرتة تنمّ عن سلام عميق، وأول ما وصل إلينا وهب عمامته الخضراء الناعمة ذات الثماني لفات إلى مسكين واستبدلها بطاقيّة خفيفة من القماش الرخيص، وتخلّى عن جبته الصوفية اللامعة، واستغنى عن سيفه الطويل بعضا من خشب الورد، واستبدل شعاره من نسر مرعب إلى حمامة وديعة، مع مخالب مخفيّة يظهرها عند الحاجة لردع الظالمين، وكان يسعى كل يوم أن يكون حمامة سلام في عالمنا القاسي، ثم شرع ببناء مخبز من الطين لأهل القرية، وكان لا يثق بنور الوجوه فهي زيف وخداع، فما النور إلا في القلوب المُحبة، وقد اعتاد أن يربط ما يجري في حياته اليومية بحكمة السماء، فيمارس حكمة السماء على حياته اليومية. وقد أسميناه صانع الخبز، لأنه بقي في قريتنا خمسين عاماً وهو يصنع لنا الخبز الحار الشهيّ.

هو لم يأت الى العالم كي يشبع من نعيمها بل كي يطعم الآخرين من يديه الطيبتين...

كان حضوره إلى قريتنا كله خير، مثل مياه ظهرت فجأة من بين الصخور وأعادت الحياة إلى الجداول الجرداء، وكان يأوي كلاب القرية السائبة رافةً على كائنات الله المسحوقة، وشيئاً فشيئاً بنى الناس من حوله الأساطير التي يصعب تصديقها، فقد رأى بعض محبيه أن نجمةً في السماء قد عشقته، فأخذت منه بعضاً من عطفه، فكانت تظهر له في الليالي المظلمة، تتبعه أينما يسير، لتنير له الطريق، وفي يوم آخر وبينما كان يتجوّل في إحدى الغابات، وجدوا جمعاً من حيوانات الغاب من ذوات الأنياب، تأنس في حضرته، وتتقدم بين يديه وتلثم قدميه!...

إشراقة (55)

من رق قلبه... لسائه راق

وأحبه الناس في كل الآفاق
ومن ذاق المحبة حق المذاق...
فلن يشتاق لغير الله حق الاشتياق!...

إشراقه (56)

إن أردت أن يبقى قلبك
في تماس مع ربّ السماء!...
أشفق على الناس عند هفواتهم...
وتعاطف مع هشاشتهم!...

إيقاد الأنوار الخامدة

ومرةً كنت أسير في الطرقات

فرأيت صياداً جريئاً

بسيط القلب نقيّه

ولم تكن فرائسه كما اعتاد الناس

بل ينشد صيداً روحياً من نوع آخر

كان يبحث عن أحدٍ ما

كي يفيض عليه بالنور

فيدلّه على الطريق

أو يُدخل على قلبه السرور!

كان يطرق أبواب الجيران

ويدخل إلى كهوف أرواحهم

فيرمم قلباً أو شك على الانكسار

أو يمسك بيديّ مَنْ وهن عظمه

أو يحمل عبء من ثقلت حملته

ومثل ماء مقدس،

كان يروم الوصول إلى البذور

ليحيلها إلى ثمار وزهور!.

كانت كلماته مثل مرهم سحري...

تُصلح زوايا الروح التي أصابها التلف!

وكان الله لم يخلقه إلا لإيقاد نور من خَمَدَ نوره!..

(إلهي.. أسبغ عليّ الحكمة

مع كل حجر أقبُّه

واجعل الرحمة تهديني

لرؤية أولئك الذين يعانون العوز

لأكون مثل شجرة

تهب ظلّاتها لبذرة مهجورة!...)

اليكسندرا دو بورشغراف

إشراقة (57)

فإذا ما انقلبت الأمور

وانكسر جدار القلب

فلربما يولد عصفور

يخرج من بين ثنايا القلب المكسورا!...

إشراقة (58)

استصغرتِ الصخرة ضآلة شأن البذرة!

فقال لها البذرة : آه لو تبصرين...

ما أودع بي ربِّي...

من زهرة جميلة في قلبي!...

صفاء الروح

وبينما كانت أنظار الناس...

تتجه إعجاباً نحو أهل النجاح...

كان قلبه يميل صوب كل خائب مكسور الجناح...

لترميم روحه وتقوية عزمه!...

وإذا ما شهد نزال بين خصمين...

فلم يكن يرفع يد الفائز كما اعتاد الناس...

بل يهرع ليرفع يد المهزوم...

معلنًا عدم خسارته!

ثم ينادي قائلاً:

كلُّ يأخذ من الثاني قوته...

فلولا هذا... لما فاز ذلك!...

وكان يُعرض عن ظواهر البشر...

وينظر إلى دواخلهم

ينفذ ببصره إلى أرواحهم

ففي كل روح... شيء من صفاء

منبعه من السماء!.

ففي لحظات الوعي العميق...

والصفاء التام...

ترتقي حواسنا...

لتستوعب أسرار السماء

وتغوص عميقاً...

لتبصر النور الكامن في الأشياء!...

وكان قد عاهد نفسه...

إذا ما يوماً أطلَّ عليه الموت

وآن الأوان لإغلاق عينيه

سيكون قلبه على المحبة مفتوح!...

إشراقة (59)

لا تفتني أشياء تجلب لك الضجيج

أو تغريك بالبقاء!...

لا تقتني أشياء...

تسلب منك السكينة والصفاء!...

إشراقة (60)

هل تريد لروحك أن تُعْتَقَ!

إذن، رَتِّقْ!...

أي شيء تراه ممزَّق!..

قلب إنسان أو حتى صندوقاً!...

أصداف اللؤلؤ

كان يقول : أنا ابن الكون، وإن افتخاري هو أنني مجرد إنسان...

كان يحيا في تناغم مع حركة الحياة وحالاتها الطارئة

وقد عود نفسه على المفاجآت والأحداث غير المرتقبة

وكان يمتاز بالانضباط الداخلي عند الانفعالات

والقدرة على إحلال الصمت في الداخل

مهما كان صخب العالم في الخارج!...

وكانت حياته جمع من الأعمال الصغيرة،

فعندما يرفع الأنقاض خلف داره، يزيح ما وجد منها حول دار جاره،

كان يبادر بالسلام على كل من يراه...

ويشكر من يؤدي فعلاً طيباً وإن كان غريباً عنه،

ويشجع من ينجز عمله بإتقان وإن كان لا يعرفه،

كان يخفي أعماله عن الناس،

ولئن كان مجهولاً في الأرض فإنه معروف في السماء،

ولم يكن يسعى إلى جزاء،

فحبّه للعطاء هو بحد ذاته بالنسبة له جزاء!...

ثم إن مرّ يوماً على مكان فيه خصام،

فلا يخرج منه إلا وقد ترك جمعهم في سلام،

فتلك رسالته للعالم بأن الدنيا لا زالت بخير،

انظروا إلى صدقه ودفء روحه،

وإلى قوة العطف في قلبه،

دعكم من قوة أطرافه...

بل اسألوه إن كانت هناك لؤلؤة في أصدافه؟

فالقوة ملعونة... إن كانت بلا روح!...

والبطولة، أن تحيا بين الناس بإحساس

متى ما غادرتهم افتقدوك!...

إشراقة (61)

التفاؤل لا يعني العيش في الأحلام

ولا أن نخدع النفس بالأوهام

بل أن نبصر النور وإن كنا في ظلام

التفاؤل هو رؤية الزهرة في قلب البذرة!...

إشراقة (62)

الأمس حسرات...

والغد ترهات...

واليوم هو أرضي

وأنا الفلاح...

هلمّوا إلى الله

هلمّوا إليه معشر الخطّائين...

كائنين من كُنْتُمْ!.

حتى لو كُنْتُمْ فاسقين!.

فما زال في الوقت بقيّة!.

وأنتم أيها المنسيون

في الأزقة المتربة

أو في غياهب السجون

إن شِعْرْتُمْ يوماً بالعار..

أو لم تعملوا طيباً لأحدٍ من العالمين...

أو كُنْتُمْ قد أذنبتم مرّة

أو حتى سبعين مرّة...

هلمّوا إلى الله وادخلوا إلى مملكته...

فما زال في الوقت بقيّة!.

وأعرضوا عن الكهنة الفاسدين...

الناصبين أنفسهم حراساً للدين
والذين بدلاً من أن ينثروا البذار...
يسارعون إلى رمي الناس في النار!
هلمّوا ولا تخافوا...
وما دامت قلوبكم رنّث إلى السماء...
فاعلموا أن رحمته وسعت كل خطّاء!...
انزعوا عنكم أوصافكم وتخلّوا عن ألقابكم...
صعاليك كُنْتُمْ أو أبناء ملوك...
مؤمنين أو كُنْتُمْ ملحين...
فما زال في الوقت بقيّة!
فأرواحكم نفخة من روح الله...
وهو القادر على إنعاشها من جديد!

إشراقه (63)

ليكن العالم لك مداراً
ولا تجعل أي أرض دار استقرار!..

اسرح في قلب الكون...

أو دع الكون يسرح في قلبك!...

إشراقة (64)

دعوت الله أن يجعلني خفيفاً على القلوب

كغيمة صغيرة تجول في السماء

يا ليتها إن أمطرت أو على رأس أظلت!...

أو بهدوء، تلاشت واختفت!...

عندما يأتي المساء

ولئن كان أصله من تراب

فإن ترابه شديد الخصوبة

ففي كل صباح...

تَبْنَعُ في قلبه...

حالة حب...

لإحدى مخلوقات ربه!...

وكان يحزنه إن رأى طيراً محبوساً في قفص،

فيقول: ألا تخشون أن تأتي كائنات عملاقة من الفضاء،

وتضعكم في أقفاص،

لتلهو بالنظر إليكم!.

ومهما كان حزيناً...

فعندما يأتي المساء

يطيل النظر إلى نجوم السماء

فيأسره ذلك البهاء

فینسی حزنه

ویغط فی النوم کطفل جائع قد ارتوی من الرضاع!...

إشراقة (65)

إن لم أر نفسي في كل كائن حيّ

فلا تعولوا عليّ

فلست بشيء...

وإنما أنا في تيهٍ وغيّ!...

إشراقة (66)

ليست الحياة في ما ترى

وإنما في ما لا ترى

الكنز تحت الثرى

فأغمض عينيك حتى ترى!...

المزاد الرباني

لم تكن حياته كاملة، وعنده جروح نفسية ونواقص، ولكنه كان من أهل الهممة العالية، ولم يفقد القدرة على رؤية الجمال، والتقاط شعاع النور من بين الأزقة المظلمة، وجاء إلى طريق النور بكل ما يملك ليكون مع السائرين، فربما يحظى بالنظر إلى جمال الله أو بشيء من مائدته المفروشة على طول الطريق، فلم يكن يغفل عن النظر،

ولا يبتعد عن المزاد الرباني...

والذي جَلَّهُ مَجَّاني!...

كان يغامر ...

يصطف مع السائرين أو يخاطر...

يهجر مألوفه أو يسافر!.

وصل... أم لم يصل،

حصل على شيءٍ من المزاد، أو لم يحصل...

فالالتحاق بالركب هو الأصل!...

يحكي الشاعر الصوفي فريد الدين العطار في كتابه (منطق الطير) أنه في أثناء مزاد بيع يوسف الصديق في مصر، عرض من حضر المزاد أموالاً كثيرة لشراء العبد الوسيم المسجون، ولكن امرأةً عجوزاً ترتدي أسماً من الصوف، تدافعت من بين الصفوف، وصرخت في وجه النَّحاس: يا هذا... بِغِ لي هذا الشاب، هاكَّ عشر قطع نسجتهم بيدي، خذهم، وبعهُ لي!..، فتبسم النحاس قائلاً: أيتها الإنسانة البسيطة، إني قادر على أن أحصل

على مائة ضعف من قيمة أسماك البالية، فردّت قائلة: نعم، أنا أعلم أنه لا يمكنني الحصول على هذا الشاب في الدنيا، ولكن يكفيني أني قد غامرت في هذا المزايا..

(أن أمشي في جمال

أن يكون هناك جمال أمامي

وجمال خلفي.. وتحتي.. وفوقي

وأن يكون كل ما حولي جمال

وجمال على امتداد طريقي

وإن أنتهي بجمال!..)

من نشيد الليل لدى شعب ناباخو

إشراقة (67)

وإنما الكرام تاج الأنام...

وهم أعمدة الله على الأرض!...

فكن ممن يُجبرُ عشرات الكرام

كي لا يسطو على الأرض اللئام!...

إشراقة (68)

إنما أنا اثنان جسد يتبدد

وروح تحيا إلى الأبد!...

فيا لغفلي إن لهث لإرضاء جسدي

وغفلت عن معانقة روحي!...

كي تحيا بسلام

تَفَنُّنْ... في تبسيط العقد الكبيرة

وكن ممتناً... من النعم الصغيرة...

تصالح مع أقدارك... تشع أنوارك

وتسلم من كآبات اللحظات الأخيرة من الحياة...

ولا تنتظر من العالم أن يبهج قلبك!...

أبهج قلبك بنفسك...

ومن ثم أبهج قلب العالم!...

وإن رغبت أن تحيا بسلام

فاترك مراقبة الأنام...

واشغل نفسك بهمك

وتوقف عن إطلاق الأحكام!...

ثم احذر من الغضب...

فالغضب حربٌ صغيرةٌ داخل قلبك!...

وإذا ما أصبحت أمور العباد في قبضة إنسان غضوب...

فانتظروا الحروب...

ومن يبدأ بالحروب... فهو مغلوب

ولو بعد حين!...

إشراقة (69)

كي تحافظ على نقاء روحك

بيننا تكون عالقاً وسط الحشود

فكن بين الناس موجوداً

ولكنك لست موجوداً!...

إشراقة (70)

أنت الحرفي النجار،

لا تلم الشاكوش أو المسمار!..

راجع ذاتك...

إن لم تجد السلوى في حياتك!...

المركب

قبل خميس وأربعين عاماً، دخلتُ إلى حمامٍ شعبي في مدينة قديمة، وكان الرجل الذي يتولى عمل المساج والتدليك قد ناهز التسعين من العمر، وما إن رأيت كبر سنّه وهزاله تردّدت، ثم سلّمت أمري إلى الله، ويبدو أنه شعر بما يجول في صدري فهمس في أذني قائلاً:

يا بني... لا أحتاج إلى القوة في عملي، بل إلى فهمٍ وفنٍّ، ثم انهمك في عمله مثل فنان خبير يؤدي عمله بدقّة، لا بتعنيف، بل برقّة، ثم أكمل حديثه قائلاً: جسدك يحتاج إلى رحمة ومداراة، إنه مركبك في الحياة، ووسيلتك في قطع الدروب والفلوات.

ومنذ ذلك اليوم، وأنا أحسنُ صحبة جسدي، أتعايش مع تضاريسه، سهوله وهضابه، أتفاهمُ معه مثل رفيقٍ طريق، أو صديقٍ شفيق!...

موعد مع الحياة

الأرض ترقص حول الشمس...

وتدور الذرة حول النواة...

وترقص حتى الكواكب والمجرات!...

فالرقص حياة للكائنات وحج صوب الذات

ورحلة لتصفية الملفات العقيمة والعالقة منذ العصور القديمة!...

والرقص حالة ارتقاء... من السطوح صوب أعالي الروح!...

إن كنت ترقص في سرور... فالكون يرقص في سرور

ما الكون إلا انعكاساً لروحك!...

وكن ممن يجيد الرقص مع كل شيء حتى مع همومه!...

ولا تجزع من جرح أصاب قلبك...

فلربما أراد الله منفذاً... يمر من خلاله نوره إليك!...

وعند كل صباح جديد

ضع خوذتك على رأسك كي لا تستقبل صخب الأفكار الخارجية

والبس درعك لتحمي نفسك من مشاعر الناس السلبية

لست مقبلاً على حرب، وإنما على موعد مع الحياة!...

إشراقة (71)

من يبني قدره على بني البشر

فإنما يبنيه على سراب

أو على حفنة من تراب

ثم يصحو على سفر!...

إشراقة (72)

كلما نفسك شَفَّتْ...

زهدت عن الخرائب والفانيات!.

وكلما عن الدنيا عَفَّتْ

انكشف لها أسرار السماوات!.

المرأة المفطورة

كان وسيماً بهي المنظر

وكان ينظر بإعجاب إلى صورته في المرآة

وذات يوم سقطت عليها حجارة

فتفطرت المرآة وتشوهت الصورة

فانتبه إلى أن بقاء جماله محض خيال

وكلّ شيء سائر إلى زوال!...

فلم يستبدل المرآة المفطورة

بل أبقاها تحت ناظريه...

كي لا ينسى أن الكمال محال،

وأن النواقص جزء من الحياة

فيتقبل الأحداث التي تعمل خدشاً في نفسه...

أو تكسر يوماً قلبه!...

لن نجد النور في أي مكان

إن لم نجده في داخلنا!...

فكنوزنا تكمن بين جوانحنا

وأعظم ثرواتنا في أقبية منازلنا!...

إشراقه (74)

وبينما كان يقبل على يومه بكل روحه

كان يستبشر إن حان وقت الرحيل...

مثل طير تحرر من قبضة صائده!...

أو عطر حان انعتاقه من وِزْدِهِ!...

بشائر الله

ولئن شكوتن مرّة أو مرّتين

فلا تستعذبوا الأئين!..

وإن صرختن :

لماذا كل هذه الآلام في حياتنا!.

فربما آلامكم...

هي من تمسك أرواحكم

ثم تقودكم...

كي تولدوا من جديد!...

فبعد أن يصبح أحدكم وحيداً...

إلا من آه مكتومة في الصدر

يصعب عليها الخروج...

فإذا بأحدهم... وقد أقبل عليكم...

حاملاً... بشائر الله إليكم!...

وإن تراكمت الهموم...

تأملوا أحوالكم...

وحولوا أفكاركم صوب أنفسكم

باحثين عن الأسباب بين طيات الذات

وهناك... وليس في أي مكان آخر

ستجدون الحلول!...

إشراقة (75)

وكن ممن يكتفي بأبسط الأشياء

كالشمس والهواء وسقية من ماء

أو ربما من نظرة...

إلى جمال طائرين يرقصان في السماء!...

إشراقة (76)

إن كنت وحدك

من توقد في روحك النور!...

فما من أحد في الكون بقادر...

أن يطفئ في قلبك السرور!

تشابك مع الحياة

وعند انتهاء نوبة عمله

يللمم أجزاء روحه التي تشظت من كثرة الكدمات

وبما تبقى لديه من طاقة

يزرع على وجهه ابتسامة

كي يتماسك ويمضي قُدماً!

وعندما يفعل ذلك...

كانت الغيوم الولادة للأمطار

ترافق قلبه أينما سار

وإذا ما يوماً حلّ الطوفان

كان ثابت الجنان

وفي أوقات التيه والضباب وتداخل الأمور

يرمي ببصره ليميل

إلى كل ما هو راسخ وأصيل!

وكان يتشابك مع الحياة

ويحب أشياء لا تعدّ ولا تحصى

ولكن بلا تعلق

وإن بدأ بشيء ما يتعلق...

فكان مثل تعلق الندى بسطح الورق

لأنه إن تعلق... علق

وإن علق... حلت عليه العبودية!

إشراقة (77)

اكتب عن السلام..

وقتما تشتد الحروب!...

وبالغ في الإكرام...

عندما تضيق على الناس الدروب!...

إشراقة (78)

أوقد شمعة...

كلما أبصرت شمساً قاربَ وقت أفولها!...

وازرع بذرة...

إن رأيت زهرةً حان وقت ذبولها!...

البقاء على قيد المحبة

فقال لي: أيها الإنسان

لئن سلبَ منك الزمان...

أشياءك الثمينة

فلا تدعه يسلب منك المحبة!

واعلم أن هناك أكواناً تدور في السماء

تراقب الأرواح الطيبة في الأرض

لتتعلم منها فنون البقاء

على قيد المحبة

فإن طبع الأكوان

منسوخ من طبع الإنسان

فلئن ماتت في داخلها المحبة...

حلَّ عليها الفناء!

والسقوط في الثقوب السوداء!...

وإن تكالبت عليك الخطوب وتاهت بك الدروب...

فاجعل المحبة رفيقك الأثير فلا شيء بوسعه...

أن يقهر قلباً مفتوحاً على المحبة!...

وإن شعرت يوماً بالضياع...

وانتابك الحنين لشيء غامض مفقود

وأردت أن تستعيد روحك!...

فابحث عن أي شيء تسكب عليه حبك

كائناً ما كان تجده على دربك

غادة حسناء، أو عندليب...

أو حتى كلباً أجرب غريباً!...

(أمس كنت أحسب أنني كبير راشد أشيب...)

وحكيم حتى آخر أيامي...

فأتى الحب وابتسم ببساطة...

فإذا أنا ولد صغير!...)

رسول حمزاتوف

إشراقه (79)

في ساعة الفقدان والخسارة

قد تضيء قلبك استنارة

لتجعل منك شخصاً أقوى...

وأكثر امتناناً بما تَبَقَّى!...

إشراقة (80)

وإن شاءت الأقدار...

فابتعدَ عنك الحبيب

وافترقَ عنك من كان أنيساً قريباً...

فانتظر التعويض من شخص غريب!...

أصفياء القلوب

كنا في صحراء... ثم وجدناه كسّقية ماء!

كان يأتي... إن طال الوجع

ليرمّم ما أصاب القلب من صدع

ويسقينا من ماء روجه

ليزهر فينا الأمل...

بعد أن أوشك أن يذبل!...

ثم يقول:

يا ليت عندي فرشاةً سحرية

أرمّم بها عيوب القلوب

فأكثر ما يوجع الروح

عندما لا نبصر العيوب

فقد تنمو وتكبر...

ثم تمسي وقد غدت في الروح ثقوب

والله لا يتجلى إلا عند أصفياء القلوب!...

حي المومسات

وبينما هو يسير في رحلته الروحية مراقباً صفاء قلبه، وصل إلى ربوة عالية تشرف على أحياء المدينة، فرأى منطقة تعيش فيها جمع من المومسات المنبوذات، فأخذته حالة من الزهو والعجب بنفسه وشعر أنه أفضل وأقرب إلى الله منهن بسبب عبادته ورياضته الروحية العالية، وبينما هو في تلك الحال، غلب عليه النعاس، فرأى نفسه طائراً يحلّق في أعالي السماء، ساعياً للوصول إلى قلب الشمس، لكن سرعان ما أحرقت حرارتها جناحيه، فهوى ساقطاً إلى الأرض. فاستيقظ فزعاً مما رآه، وكأنه قد فهم مغزى تلك الرسالة، وأدرك أن الخيلاء تعيق سلوك رب السماء، وأن أغلب صلواته مجرد حركات، وأن صيامه تأجيل أكل الطيبات؟، ولا يجوز رمي الأحكام على الناس فالله أعلم بالقلوب، وشعر بذنب يحيط بروحه، فلم ينم ليلته. وعند الصباح ذهب إلى حي المومسات، وانتقى أكبرهنّ سنّاً وأتعسهنّ حالاً، وألزم نفسه بخدمتها، يوماً، يومين، ثلاثة... حتى أكمل أربعين يوماً من الرعاية والاهتمام وإنجاز متطلباتها اليومية، وعرف خلال تلك الأيام مدى تعاستها، واستحالت قسوة قلبه إلى شفقة، وقرر أن لا يودّعها إلا كريماً، وأن لا يغادر المكان إلا ويترك عليه شيئاً من روحه، وكان في أثناء ذلك يكشف لها السلوك القويم، ويسحب ما تراكم في داخلها من آلام وهموم، ويضيء عليها من نوره ليزيح عن قلبها ظلمته. وعندما تحسنت حالها، هدأ واستراح، وأحس أنه قد تطهّر من ذنبه، فبعض الجراح رسل شفاء للأرواح!...

إشراقة (81)

احضن قلبك إذا انكسر ودع الأنين

فحياتك لا تُعدّ بالسنين

وانما بلحظات الحنين

وأولهم على نفسك!.

إشراقه (82)

عش كل يوم...

مثل عصفور قفز لأول مرّة من عشّه

وغادر الديار... وللسماء طار

مندهشاً منتشياً في حالة انبهار!...

حتى إلى التراب!

كان قلبه ينعم بالسكون

ولو امتلأ العالم بالضجيج!...

وكان يرى الكون عامراً بالجمال

وإن كانت قدماه مغروسة في الوحول!...

وعندما تتفاقم الصعوبات في حياته

يختلي بنفسه... يتأمل ذاته

ثم يحوّل أفكاره صوب الداخل

باحثاً عن السبب بين طيّاته

وهناك... وليس في أي مكان آخر

سيجد الحلول!...

وكان ينظر لكل شيء في الكون بإعجاب...

حتى إلى التراب!...

فعندما يسير...

من غير التراب يحمل جسمه الثقيل!؟

وعند أوان الرحيل...

مَن سوف يحضنه بتبجيل؟!...

إشراقة (83)

وعند النهايات...

وبعد أن تستوفي حظك من الحياة...

ستجد أن لا شيء كان يستحق العناء!

وليتك استبدلت بالضحكات ساعات البكاء!...

إشراقة (84)

ومن قوة استنارته...

كان إن غادر يوماً داره...

فكل كائن على الأرض وكأنه جاره...

أو سيصبح من سقاره!...

في حضرة الصباح

في حضرة الصباح...

كان أولاً، يفتح شبك غرفته...

ثم يفتح عينيه على الدنيا بكل سعتها

لينظر إلى السماء وكأنه يراها لأول مرة

مع أنه يراها هي نفسها في كل مرة!

ثم يستنشق الهواء بشغفٍ إلى جوفه

وكانه يدخل عشيقته خلسةً إلى بيته!

فكان يمتلئ بالحياة..

من أعالي رأسه حتى نهايات أطرافه!...

وبعد ذلك يبدأ احتفاله بيومه...

وكانه مدعوً إلى عرس!

ثم يبدأ بممارسة لعبة الحياة بمهارة...

مع لمسة من الجنون...

ويمزجها بشيء من الخفة والمجون...

وليذهب الماضي إلى الجحيم!...

وإذا امتلأ عقله بالضجيج وفقد السكينة...

أمسك قلبه برفق، وملأه بالحب!

فإذا وكأنه قد أحدث ثقباً في عقله ليتسرب منه الصخب

ويحلّ في أرجائه السلام!

وكان يقول :

إذا كان لا بدّ من خيار...

فاختر أن تحيا كما لو أن الحبّ قريبٌ منك

مثل أنفاسك...

متى ما شئت... غرّفت!...

واختر أن تحيا أخضر القلب أثناء الحياة...

فمن الخيانة أن تحيا ميّت القلب...

وأنت لم تنزل بعدُ على قيد الحياة!...

إشراقة (85)

إن أبصرت نور الله في كل الكائنات

بان لك خافيات الأسرار!...

فإذا بالقطرة تختزل كل مياه الأنهار!...

وتمسي موجةً صغيرةً مثل آلاف البحار!...

إشراقه (86)

لو شعرت أن الكون هو امتداد لذاتك

وأن كل من يدبّ على الأرض من برّ أو فاجر...

يحمل نفس جوهر مكنوناتك!...

فأبشر بصفاء أوقاتك!..

نقطة نور

ولم يكن يجري خلف السعادة، فقد كان يعيشها بالفطرة
ويمكنه استحضار السعادة من دون أن يكون هناك أي سبب
وكانت ميزته هي امتلاكه مغناطيس هائلاً يجتذب به اللحظات السعيدة
فالسعادة هي حالة فطرية كامنة في داخله،
وكان يبصر الأشياء التي تحيط من حوله بطريقة غريبة
فيشعر بنبضها ويلمس دفئها وكأنه يرى الروح تسري فيها
وبينما هو يجتاز دروب الربّ الصعبة
ولأنه إنسان، فلربما أحياناً يضجر،
ولكنه سرعان ما يواصل المسير بصبر،
ويسعى جاهداً أن لا يرتكب إلا أدنى ما يمكن من الهفوات،
وبينما تراه يستصغر خطايا الآخرين فإنه يعظّم هفواته
ويفرح ولو من هبة نسيم
ولا يحزن حتى عند الحدث الجسيم
ويتقبل ذلك بنبل لأنه يعلم أن ما من شيء إلا ومصيره الزوال

وكان يجيد فن خلق الدهشة...
ويعيش وكأنه في حالة احتفال أبدي مع روحه
ولم يكن يستوحش وإن كان وحيداً فريداً!...
ويختلق كل يوم سبباً يبقيه حيّاً!...
فيبادر في شم الزهر قبل أن يتسرب منه العطر...
وان أبصر في مكان ما نقطة نور صغيرة
نفخ عليها كي تعود لها الحياة فلعلها ترمم قلوب كسيرة...
وتنير لأحد ما دروبه... إن حان وقت غروبه!...

إشراقه (87)

وإن سألت الدرويش لماذا حول نفسه يدور؟
ويرقص نشواناً مسروراً؟..
سيقول: لقد ضاقت نفسي من جسدي
والرقص عروج إلى عالم النور!..

إشراقة (88)

إنما أنت مثل شجرة...

والكلمة في غصنك ثمرة...

لا يحل قطافها...

إلا عند النضوج!...

مع المحبة يأتي كل شيء

كان دفء قلبه دليلاً على أنه ما زال على قيد الحياة!...

وفي أوقات خوفه كان يعتلي ناصية الحب!...

فيحب لأي سبب...

ولم يك يكره شيئاً من الكائنات، كي لا يدخل في المتاهات!...

فالكراهية جرثومة... إن حلت على دربه، فأول ما تشل قلبه!...

والمحبة كانت تحرسه وتنقذه حتى من نفسه...

فالمحبة أعظم قوة في الكون!.

وعندما لم يكن قادراً على الحب، يشعر بفراغ يملأ قلبه،

فإذا بالحب يبحث عنه، يقفو أثره، ثم يملأ قلبه من جديد

والمحبة تكفي نفسها بنفسها، ومعها يأتي كل شيء...

وبدون المحبة لسنا سوى كائنات مهزومة!...

فالحب تُدرِك آثاره عند ابتداء شروقه...

فكيف لو لمعت بروقه!...

(دع الحب يفعل بك ما شاء

دعه يحرقك تماماً

دعه يحيلك إلى رماد و تراب

فمن روح هذا التراب... تنبت الزهرة!...)

جلال الدين الرومي

إشراقة (89)

وبعد جهد وعناء...

ستجد أن حل المشاكل بالعقل وحده هباء

وأنها سترميك في متاهات عوجاء

ثم ستلجأ إلى قلبك!...

إشراقة (90)

وإن رأى شيئاً جميلاً

أبصر نور الله من خلاله

فذاك النور سرّ جماله

وإنما الباقي فناء في فناء...

الوصول إلى السكينة

قال لي معلمي:

كم غالبتُ إغواء الكلام...

حتى تزيّنت بهذا الصمت!...

وكم من جدال تفاديته...

حتى وصلت إلى السكينة!...

وكم من حرب خضتها مع نفسي...

حتى وصلت إلى السلام!

واعلم أنك إن واجهت العالم بالعنف...

فسيرتد عليك العنف بعنف!

ثم تستعذبه، ويستوطن فيك...

فتبدأ في تعنيف نفسك...

وذلك أول طريق الهلاك!...

وإن عاملت الناس بسلام...

حلَّ على قلبك السلام!..

فإذا بك تعامل نفسك بسلام...

وذلك أول طريق التنوير!

إشراقة (91)

ثم إذا ما انقلبت الأمور...

وانكسر القلب...

فكيف يخرج العصفور؟

إن لم يكن من بين ثنايا القشر المكسور!...

إشراقة (92)

فإن يوماً أصابته الجراح...

همس لنفسه قائلاً:

إياك والنواح...

لعلّ في طياتها أفراح!

السفر في الملكوت

قطعت آلاف الأميال ورأيت شتى الأحوال

حتى وصلت إلى المعلم الحكيم

فقلت له: صف لي أهل الله!...

فقال لي:

هم أناس يراقبون قلوبهم كي لا يصيبها شائب

كما يراقب الطير صغاره خوفاً من أن تتخطفها الثعالب

ورغم أنهم يغوصون عميقاً في الحياة

ولكن لا ينسون يوماً أنهم سيكونوا من الأموات

ثم إنهم قد أماتوا الرغبات

من أي شيء زائد وزائف

فدخلوا إلى الحياة من بوابة الموت!.

وهم... وبعد أن وجدوا الله في قلوبهم،

جعلوا قلوبهم كعبتهم،

فهم يحومون حوله في طواف أبدي

وقد افتتنوا بالله افتتاناً شغلهم عن كل شيء،

فهم لا ينتسبون إلى تسميات

ولا يستظلون بظلّ...

ولا تستقر أرواحهم على شيء

وفي سفر دائم في ملكوت السماء

كي لا تتيه أنفسهم في زحام الأرض!...

إشراقة (93)

القلوب الكبيرة كالأشجار

تجدُّ في حمل الأثمار...

تقيء على الجميع...

وإن رُشقت بالأحجار!...

إشراقة (94)

فإن غادرهم يوماً بجسده...

ترك عليهم آثار روحه...

كالشمس إن غاب شعاعها

أطلَّ من الأقمار ضياؤها!...

جوهر روحيّنا

الآن... وبعد أن وصلت إلى نهايات حياتي...

عرفتُ أن جوهر روحيّنا واحد،

فروحي لها طعم روحك،

وجزء من روحك يكمن في روحي!...

وأن هناك شيئاً يتحرك بين روحيّنا...

شيء شفاف خفيّ

نشترك فيه ويصعب وصفه!...

وإنك عندما تحيا...

فإن جزءاً مني يحيا!...

وكلانا جزء من الكون،

وأي طعنة أصابت أحداً على وجه الأرض،

فكأنما سُدَّتْ إلى قلبي!...

شارة الانتصار

أنتم أبناء هذا الصباح...

الفكرة، أن يبقى أحدكم شاب القلب حتى أقصى عمر ممكن...

وأن تغرسوا شيئاً أينما كنتم... أي شيء!...

ولا تجعلوا حياتكم كزهرة نضجت

وما زلتم تخشون ارتشاف رحيقها

تعایشوا مع بعضكم البعض

دعو طرقاتكم تتداخل، تتشابك

مثل شبكة صياد

وإلا لن تحظوا بحصاد: لحظة حبّ أو حتى سمكة!

إن الأحجار والأقمار...

وكذلك الإنسان، وشقائق النعمان...

مفعمون بنفس الحياة لكن لا تبصرونهم

وجميعهم من منبت واحد

مربوطون، مخلوقون من قبل ربّ واحد

عيشوا في العالم الأرضي بطرف أرواحكم

فإذا انغمستم فيه، فالخيبة بانتظاركم!...

لتكن قلوبكم تسبح في عالم آخر...

حتى إن حان وقت الاحتضار...

كنتم ضاحكين رافعين شارة الانتصار!...

دعاء

إلهي... امنحني قلباً بسيطاً متواضعاً،

واجعلني صادقاً مع نفسي، منسجماً مع ذاتي وأفكاري،

وأن يكون قلبي مرآتي فأعيش بلا زيف أو تمثيل

واجعل قلبي شمساً تشرق بالنور والدفء للعالمين

واجعله ملاذاً للطيبين...

يُقْبَلُ... عندما تدبر الدنيا عنهم...

ويرقُّ لهم... كلما قسى الدهر عليهم!...

ربي... دعني أختار درب المحبة

كلما وجدت نفسي بين دربين!...

واجعلني ممن يبدد خوفه بالمحبة...

ولا تدعني أسبب الخوف لأحد من عبيدك!.

وأوجد في قلبي اليقين

بأنني أنا مسؤول عن ألمي

وليس أحد في العالمين ...

وأسألك السماح...

على كل فقير... ازدريته

أو غريب ما اهتممت بأمره

وعن كل جار ما حيّيته يوماً...

ريبة... من إساءة منه لي لم تحصل قطّ!...

اللهم امنحني البصيرة...

لأرى جمال نورك في كل شيء

وأن لا أشغل فكري في هفوات الآخرين

مستغرقاً في ما أراه من نعمائك

واجعل قلبي موصولاً بك...

متصفاً بصفاتك...

سارحاً في رحاب سماواتك...

كي أعيش بهجة ومسرة...

وأتحمل في عين الوقت...

مرارة مخلوقاتك!...

إلهي... واجعل الغيوم المحملة بالأمطار ترافق قلبي أينما سار

وإن حلّ أوان الطوفان، فاجعلني متماسكاً ثابت الجنان
وفي أوقات التيه والضباب، وعندما تتشابك الأمور،
اجعل بصري يميل إلى كل ما هو حقيقي، راسخ وأصيل،
بعيداً عن الظواهر والرسوم، محلّقاً صوب النجوم
واجعل قلبي يسرح صوب الأفلاك العليا،
كي لا ينشغل بالأشياء السفلى...
واجعل مسيري يكون على درب كرام خلقك،
وطريقي يمر عبر من يمتلئ قلبه بالرحمة!
إلهي... اجعل قلبي يرقص كل يوم
مع الخيوط الأولى من شمس الصباح...
واجعل روحي جسراً
يمر من خلاله
كل ما يشعل طاقة الخير والسلام
فيكون سبباً للتخفيف من قساوة العالم
واجعلني لطيف الروح
أعزل من أسلحتي...

عاريّاً من مملكتي...

إلا من غنى النفس...

وإيماني برحمتك!...

1. [الغلاف](#)
2. [نقيا كأنه روح](#)
3. [الإهداء](#)
4. [اقرأوا لي](#)
5. [مدخل](#)
6. [السّر في المسير](#)
7. [الحصاد الوفير](#)
8. [حديث الصباح](#)
9. [نور الحقيقة](#)
10. [اللّسان المشوي](#)
11. [حزّر عقلك](#)
12. [روح حرة](#)
13. [أنعش قلبك بالمحبة](#)
14. [أصيص الزهور](#)
15. [رحيق المحبة](#)
16. [الروح اللطيفة](#)
17. [النداء الداخلي](#)
18. [سيرة معلّم](#)
19. [المجنون](#)
20. [جلسة تأمل](#)
21. [أولى الخطوات](#)
22. [لا تنكسر](#)
23. [أيها المسافر](#)
24. [صادق كلّ الكون](#)

25. خدمة المخلوقات
26. تعال إليّ
27. وقت الإشراق
28. سـ نقياً كروح
29. موجة المحبة
30. إزرع-ورداً في الداخل
31. نداء إلى الطيبين
32. صوتك الداخلي
33. امنح الحب
34. إشراقة (44)
35. من يوميات مشرد
36. الكأس الفارغة
37. اللحظات القدسية
38. الأصل هو الفرج
39. ابدأ بقلبك
40. الليرة الثانية
41. العمل الطيب
42. صانع الخبز
43. إيقاد الأنوار الخاملة
44. صفاء الروح
45. أصداف اللؤلؤ
46. هلموا إلى الله
47. عندما يأتي المساء
48. المزاد الرباني
49. كي تحيا بسلام

50. [المركب](#)
51. [موعد مع الحياة](#)
52. [المرأة المفطورة](#)
53. [بشائر الله](#)
54. [تشابك مع الحياة](#)
55. [البقاء على قيد المحبة](#)
56. [أصفياء القلوب](#)
57. [حي المومسات](#)
58. [حتى إلى التراب!](#)
59. [في حضرة الصباح](#)
60. [نقطة نور](#)
61. [مع المحبة يأتي كل شيء](#)
62. [الوصول إلى السكينة](#)
63. [السفر في الملكوت](#)
64. [جوهر روحينا](#)
65. [شارة الانتصار](#)
66. [دعاء](#)